obeikandl.com

المطاردة الرهيبة من العلمين إلى طرابلس

مونتجومري يندفع لاصطياد غريمه

وروميل ينجح في الإفلات

الفصل الثاني عشر

obeikandl.com

أوضحنا من قبل الظروف التي أجبرت الفيلد مارشال روميل على سحب قوات المحور من مواقعها الحصينة على خط العلمين بعد نجاح وحدات مدرَّعة بريطانية من النفاذ من الخط الدفاعي، واندفاعها غربًا للقيام بحركة تطويق لقوات المحور، وقد تم ذلك في المرحلة الأخيرة من معركة العلمين التي ألحق خلالها الجنرال مونتجومري هزيمة مريرة بقوات المحور، وقد تمكَّن روميل بفضل الستارة الألمانية المضادة للدبابات التي وضعها لستر انسحابه من سحب معظم قواته فيما عدا أربع فرق إيطالية لم تكن هناك حملات متوافرة لنقلها، مما أجبرها على التسليم للبريطانيين والوقوع في الأسر، وكان أحد الأحداث المهمة في هذه المرحلة وقوع الجنرال فون توما قائد الفيلق الأفريقي الألماني في أسر البريطانيين.

وفي يوم 4 نوفمبر 1942 بدأ الجيش الثامن عملية مطاردة قوات المحور المنسحبة في اتجاه الحدود الليبية، ولم يحاول روميل طوال المسافة من العلمين إلى بني غازي في ليبيا والتي تزيد على 1000كم التوقُّف بقواته في أي موقع للدخول في معركة حاسمة مع القوات البريطانية، كذلك لم يتمكَّن طوال مرحلة المطاردة من ممارسة التكتيكات الفذة التي مارسها من قبل في معركة مع البريطانيين، وهي الانسحاب لأطول مسافة ممكنة لتقصير خطوط مواصلاته مع قواعده الرئيسية في ليبيا في الوقت الذي تطول فيه خطوط مواصلات الجيش الثامن مع قواعده الرئيسية في مصر، مما يتيح له الفرصة لشنِّ هجوم مضاد قوي يوقف بواسطته تقدُّم الجيش الثامن في برقة، ويجبره على الانسحاب إلى ما وراء الحدود المصرية، وقد سبق لروميل تطبيق هذه الخطة الناجحة في أثناء قتاله مع البريطانيين في حرب الصحراء مرتين، وكانت المرة الأولى في معركة باتل آكس في برقة في منتصف يونيو 1941، وقد انتهت بهزيمة الجيش الثامن، وانسحابه إلى ما وراء الحدود المصرية، وكانت المرة الثانية بعد مرور عام كامل من المرة الأولى في معركة الغزالة في برقة

في 13 يونيو 1942، والتي انتهت بهزيمة الجيش الثامن، وانسحابه إلى خط العلمين في أسوأ حالة من التفكك والانحلال.

ولكن الظروف في هذه المرة كانت مختلفة تمامًا عن سابقتها، ففضلاً عن الهزيمة الحاسمة التي تلقَّاها روميل في معركة العلمين، والتي تسبَّبت في تدمير معظم قواته المدرَّعة التي تعد سلاحه الرئيسي في هجماته المضادة فقد قام الحلفاء في 8 نوفمبر 1942 بعملية إنزال كبرى لقوات أمريكية وبريطانية على شواطئ المغرب والجزائر، وأخذت هذه القوات في التقدُّم بسرعة في اتجاه الشرق؛ مما أصبح معه خط مواصلات روميل مع قاعدته الرئيسية في طرابلس مهدَّدًا بالقطع.

ونظرًا لاضطرار القيادة العليا الألمانية إلى إرسال قوات ضخمة على وجه السرعة عن طريقي الجو والبحر إلى تونس لوقف تقدُّم قوات الحلفاء، لذا لم يعد لدى روميل أي أمل في إمكان وصول الإمدادات التي كان يستحث القيادة الألمانية منذ بدء انسحابه من العلمين على سرعة إرسالها إليه، وبالتالي فَقَدَ أمله في قدرته على شن هجوم مضاد رئيسي على الجيش الثامن لمحاولة وقف تقدمه، وإجباره على الانسحاب للمرة الثالثة إلى ما وراء الحدود المصرية، وفي الجانب الآخر عمل مونتجومري على المحافظة على سلامة قواته خلال مراحل المطاردة بشكل مبالغ فيه إلى الحد الذي أثار ضده انتقادات عديدة، فعلى الرغم من تأكُّده من أن قوات المحور قد هُزِمَت هزيمة ساحقة، وخسرت معظم قواتها المدرعة مما لا يتيح الفرصة لروميل للقيام بأيِ هجوم مضاد رئيسي يمكن أن يهدِّد به القوات البريطانية التي تتولى عملية المطاردة فإن مونتجومري حرص بشدة على الحفاظ على مبدأ التوازن الإستراتيجي طوال المراحل الثلاث للمطاردة، ولذا قرر أن يكون تقدم الجيش الثامن في وَثَبَات متتالية باستخدام الفيلق 30 والفيلق 10 بالتبادل بينهما، فبينما يكون أحدهما في الأمام للقيام بالمطاردة يكون الفيلق الآخر في الخلف في مواقع منتخبة تصلح جيدًا للعملية الدفاعية، وذلك لتفويت الفرصة على روميل في حالة نجاحه في توجيه ضربة قوية مفاجئة إلى الفيلق الأمامي، والتقدم بقواته ـ وفقًا لتكتيكاته

السابقة ـ لتهديد خط مواصلات الجيش الثامن؛ إذ سوف يواجهه في هذه الحالة الفيلق الخلفي في المواقع الدفاعية المنيعة التي احتلَّها، مما يؤدي إلى فشل عملياته، وبهذه الطريقة يتحاشى مونتجومري أن تحيق به الهزائم السابقة التي مُنِيَ بها كلٌّ من الجنرال ويفل، والجنرال أوكنلك.

هذا وقد جرت مطاردة قوات الجيش الثامن البريطانية لقوات المحور (الألمانية الإيطالية) في ثلاث مراحل رئيسية:

- § المرحلة الأولى ـ المطاردة إلى الحدود المصرية.
- § المرحلة الثانية ـ المطاردة إلى منطقة العقيلة الليبية.
- § المرحلة الثالثة ـ المطاردة إلى العاصمة الليبية طرابلس.

المرحلة الأولى ـ المطاردة إلى الحدود المصرية

كان الوضع العسكري لقوات الفيلد مارشال إروين روميل شديد الحرج، فقد تلقت قوات المحور في معركة العلمين هزيمة ساحقة، مما أجبرها على سرعة الانسحاب في اتجاه الغرب تحت ضغط شديد من قوات الجيش الثامن البريطانية، وأصبح هدف الجنرال مونتجومري قائد الجيش الثامن من خلال قيام قواته بعملية المطاردة هو تطويق قوات المحور لقطع خط الرجعة عليها، وعدم منحها الوقت الكافي للقيام بعملية إعادة التنظيم، أو استعادة ميزة المبادأة، وقد بذل مونتجومري ثلاث محاولات خلال هذه المرحلة لتطويق قوات المحور في مناطق فوكه ومرسى مطروح والسلوم، ولكن الطبيعة أسهمت في إفشال هذه المحاولات، وفي تمكين قوات المحور من الإفلات من عملية التطويق، ومواصلة انسحابها السريع في اتجاه الغرب، فقد سقطت الأمطار بغزارة يومي 7 و10 نوفمبر 1942، مما هيَّأ الفرصة لروميل؛ لإنقاذ أعداد كبيرة من جنوده وأسلحته ومعداته.

وقد بدأت العمليات الحربية بالنسبة للجيش الثامن في هذه المرحلة يوم 4 نوفمبر في المنطقة ما بين العلمين والحدود المصرية الغربية، وهي مسافة تبلغ حوالي 500 كيلومتر، واستغرقت نحو أسبوع واحد قاد خلالها الفيلق 10 البريطاني عملية المطاردة، بينما ظل الفيلق 30 يتبعه في وثبات، وكان هدف مونتجومري هو قطع خط الرجعة على قوات المحور المنسحبة عند فوكة (في منتصف المسافة تقريبًا ما بين العلمين ومرسى مطروح)، ثم عند مرسى مطروح تمهيدًا لتدميرها والقضاء عليها، فأمر الفرقة 2 النيوزيلندية بالتقدم إلى فوكة، وأمر الفيلق 10 بالتقدم إلى مرسى مطروح، بينما كلَّف الفيلق 13 بتطهير أرض معركة العلمين، واستكمال أسر أربع فرق إيطالية خلّفها روميل وراءه عند انسحابه لعدم وجود عربات لنقلها، ونظرًا لما جرى للتقدم من تعطيل بسبب حقول الألغام العميقة والمؤخرات الألمانية القوية لذا قرر مونتجومري يوم 5 نوفمبر إعادة تجميع قواته، فوضع الفرقة 10 المدرعة تحت قيادة الفيلق 30، بينما شكَّل الفيلق 10 المدرَّع من الفرقتين 1 و7 المدرَّعتين والفرقة 2 نيوزيلندية، وكلَّف الفيلق 10 المدرع في الأمام بالمطاردة، وقطع خط الرجعة على قوات المحور عند مرسى مطروح، بينما كلف الفيلق 30 في الخلف بالتقدم إلى منطقة فوكة، وقد استمر تقدم الفيلق 10 المدرع يوم 6 نوفمبر على الطريق الساحلي لتحقيق هدفه، ولكن هطلت الأمطار بغزارة مساء اليوم نفسه، وتعطَّلت قوافل التموين، مما أجبر وحدات الفيلق 10 على التوقُّف يوم 7 نوفمبر؛ وبذا تمكَّن روميل من سحب جانب كبير من قواته وأسلحته على الطريق الساحلي غرب مرسى مطروح، وفي يوم 8 نوفمبر استأنف الفيلق 10 المدرع تقدُّمه، ودخل مرسى مطروح، وفي يوم 9 نوفمبر أزاحت وحدات من الفيلق 10 مؤخرة لقوات المحور عند سيدي براني، بينما كان باقي وحدات الفيلق متقدمة صوب الحدود لتطويق قوات المحور المنسحبة، غير أن الأمطار هطلت بغزارة يوم 10 نوفمبر، مما أدى إلى تعطيل المطاردة، وتهيئة الفرصة لروميل لتخليص قواته، وفي ليلة 10/ 11 نوفمبر استولت وحدات من الفيلق 10 على ممر حلفاية بهجوم ليلي صامت، وفي 11 نوفمبر أصبحت الأراضي المصرية خالية من قوات المحور، وانتهت المرحلة الأولى من المطاردة.

المرحلة الثانية ـ المطاردة إلى العقيلة

في يوم 11 نوفمبر 1942 بدأت المرحلة الثانية من المطاردة من آخر الحدود المصرية عند السلوم إلى بني غازي عاصمة ولاية برقة، ثم إلى العقيلة، وهي مسافة تبلغ حوالي 700 كيلومتر، وقد استغرقت نحو عشرة أيام استمر خلالها الفيلق 10 المدرَّع في قيادة عملية المطاردة، بينما كان الفيلق 30 يتبعه في وثبات، وقد تأثرت العمليات الحربية في برقة في هذه المرحلة بعاملين مهمَّين دفعا قوات الجيش الثامن إلى سرعة التقدَّم من السلوم في اتجاه بني غازي، كان أولهما ضرورة سرعة احتلال مجموعة المطارات الموجودة في منطقة الحدود المصرية؛ ليمكن منها تقديم المعونة الجوية لحماية ميناء طبرق عقب الاستيلاء عليه؛ كي يمكن استخدامه في الإمدادات الإدارية، كما كانت هناك ضرورة ملحَّة لاحتلال وتشغيل المطارات في منطقة المرطوبة (داخل برقة) حتى يمكن منها تقديم الحماية الجوية للقوافل البحرية البريطانية التي كانت تحمل المؤن المتجهة إلى جزيرة مالطة التي كانت تعاني وقتئذ من نقص شديد في التموين.

أما العامل الثاني فكان العامل الإداري، فقد أصبح من الصعب الاستمرار في إعاشة قوات الجيش الثامن في برقة من القاعدة البريطانية في الإسكندرية، مما جعل من الضروري سرعة الاستيلاء على طبرق، وفتح مينائها للسفن؛ كي يمكن إمداد وتموين قوات الجيش الثامن القائمة بعملية المطاردة إلى بني غازي والعقيلة، وذلك قبل أن يتمكَّن روميل من تنظيم الدفاع عن طبرق والاحتفاظ بها، أو تدمير منشآت الميناء بها.

وبالنسبة للعمليات الحربية في هذه المرحلة فقد استأنفت وحدات الفيلق 10 المدرَّع تقدُّمها غربًا، ففي يوم 11 نوفمبر سقطت في أيديها البردية، وفي يوم 13 نوفمبر سقطت طبرق، وفي يوم 15 نوفمبر سقطت المرطوبة، ولكن خطة التقدُّم إلى بني غازي والعقيلة أفقدت المطاردة سرعتها السابقة، فعلى الرغم من أنه في مقدرة مونتجومري بعد سقوط مرطوبة إرسال قوة كبيرة للتقدُّم على الطريق الصحراوي الداخلي الذي يمر بالمخيلي

ومسوس وعنتيلات للوصول بسرعة إلى إجدابية، وقطع خط الرجعة على قوات المحور المنسحبة على الطريق الساحلي في اتجاه الغرب فإن مونتجومري بدافع من حَذَره الشديد قرَّر أن تستمر المطاردة على الطريق الرئيسي الساحلي وحده عبر الجبل الأخضر، بينما كانت سرعة التقدُّم وقتئذ مطلوبة بشدة؛ كي يمكن الإسراع باحتلال بني غازي قبل أن تتمكَّن قوات المحور من تدمير الميناء، أو إخلاء المؤن الكثيرة الموجودة بها، وقد تذرَّع مونتجومري لتبريره الخطة التي اتَّبعها بعدة أسباب؛ أهمها أنه كان يخشى تعريض القوات في حالة إرساله لها على الطريق الصحراوي لهجوم مضاد من قوات المحور، والرد على ذلك أن قوات المحور كانت في حالة انسحاب عام اضطراري بعد هزيمتها الكبيرة في معركة العلمين، ولم يكن في إمكانها شنّ أي هجوم مضاد عاجل على قوات الجيش الثامن، كذلك كان من ضمن الأسباب التي تذرَّع بها مونتجومري هو عدم توافر القوات الجوية البريطانية التي يمكنها تقديم المعاونة الجوية للقوات التي سوف تتحرك جنوبًا على الطريق الصحراوي؛ لعدم وجود أراضي هبوط أمامية في ذلك الوقت، وأدت تلك العوامل إلى استمرار التقدُّم على الطريق الساحلي الرئيسي وحده عبر الجبل الأخضر، بينما تمَّ دفع قوة من السيارات المدرَّعة على الطريق الصحراوي (المخيلي ـ سوس ـ عنتيلات)، ولكن تقدُّمها تعطَّل نتيجة لهطول أمطار غزيرة، ولم تتمكن من الوصول إلى الطريق المنحني جنوب بني غازي لقطع خط الرجعة على قوات المحور.

وفي يوم 20 نوفمبر 1942 سقطت بني غازي في أيدي الفيلق العاشر المدرع، وفي يوم 23 نوفمبر سقطت إجدابية التي أخلتها قوات المحور، وواصلت انسحابها إلى العقيلة، وفي يوم 24 نوفمبر تمَّ فتح ميناء بني غازي للسفن؛ لإمداد قوات الجيش الثامن بالإمدادات وبالتموين اللازمين، وبذلك انتهت المرحلة الثانية من المطاردة.

المرحلة الثالثة ـ المطاردة إلى طرابلس

تأثرَّت المطاردة إلى طرابلس بعاملين: **أولهما**: كان القتال التعطيلي الذي قام به روميل لوقف تقدُّم الجيش الثامن أطول فترة ممكنة لإتاحة الوقت للقيادة الألمانية في تونس للانتهاء من تنظيم الدفاع عنها، أما العامل **الثاني**: فكان سوء الموقف الإداري لقوات الجيش الثامن، نظراً لطول خط مواصلاتها دون أن يكون لها ميناء كبير يمكن الاعتماد عليه لتلقِّي الإمداد والتموين لحين وصول هذه القوات إلى العاصمة طرابلس، واستخدام مينائها الكبير، وكان الميناء الوحيد الذي يتاح لها استخدامه وقتئذ لتلقي مطالبها الإدارية هو ميناء بني غازي الذي يقع على مسافة حوالي 1000 كم شرق طرابلس، مما جعل إعاشة الفيلقين 10 و30 يعتمد على العربات واللوريات الخاصة بالجيش الثامن، ولم يكن هناك سوى طريق واحد لاستخدامه في تحرك القوات، وفي نقل الإمدادات والتموين إليها وهو الطريق الساحلي، وكان التحرك عليه غاية في الصعوبة؛ نظراً لأعمال التدمير والنسف الواسعة التي قامت بها قوات المحور خلفها على طول الطريق، وكانت الحاجة إلى إصلاح ذلك الطريق تحتاج إلى مجهودات شاقة وإلى كثير من الوقت، وهذا ما جعل تقدُّم الجيش الثامن غرب بني غازي مرتبطًا بإصلاح الطريق الساحلي، وبالتالي تحسين الموقف الإداري، كما أصبحت سرعة الاستيلاء على طرابلس لاستخدام مينائها الكبير أمراً في غاية الأهمية بالنسبة لعملية المطاردة، وقد وقعت العمليات الحربية لهذه المرحلة في مرحلتين فرعيتين: الأولى معركة العقيلة، والثانية معركة البويرات.

أولاً: معركة العقيلة:

بعد انتهاء المرحلة الثانية قرَّر مونتجومري إحضار الفيلق 30 للأمام في منطقة بني غازي لقيادة التقدُّم خلال المرحلة الثالثة من المطاردة على أن يتبعه بوثبات الفيلق 10، وتم إعادة تنظيم الجيش الثامن كالآتي:

§ **الفيلق** 30 : ويتشكَّل من الفرقة 7 المدرعة، والفرقة 51 مشاة، والفرقة 2 نيوزيلندية.

§ **الفيلق** 10 : ويتشكَّل من الفرقة 1 المدرعة، والفرقة 50 المشاة، والفرقة 4 الهندية.

§ **الفيلق** 13 : يظل باقيًا في مصر للتدريب على عمليات النزول إلى الشواطئ استعداداً لغزو صقلية وإيطاليا.

وكان روميل قد قرَّر التوقُّف بقواته لأول مرة منذ بدء انسحابه من العلمين عند خط العقيلة ـ الحصين، وتلقَّى روميل في هذا الموقع إمدادات عديدة من الجنود والدبابات بحيث استعاد بها جانبًا كبيراً من قوته، وكان خط العقيلة ذاته يعد موقعًا دفاعيًّا طبيعيًّا؛ إذ إنه يرتكز على البحر المتوسط شمالاً، وعلى وادي الفارغ الذي يعد مانعًا طبيعيًّا جنوبًا، فضلاً عن أن الموقع يقع خلف منطقة من المستنقعات التي من المتعذر اجتيازها، وقد أقام روميل في خط العقيلة ستارة هائلة من المدافع عيار 88 و50مم المضادة للدبابات، كما بث عدداً كبيراً من حقول الألغام والشراك الخداعية، واحتفظ خلف الخط الدفاعي بحوالي مائة دبابة كاحتياطي تعبوي، وكان هدفه الأساسي هو كسب أطول وقت ممكن عن طريق تعطيل تقدُّم الجيش الثامن دون التورط في أية معارك رئيسية.

وكانت خطة مونتجومري تستهدف الاستيلاء على موقع العقيلة بأسرع وقت ممكن حتى يحرم روميل من هذا الموقع الدفاعي الحصين، غير أن خطته تأثرت بعاملين: **أولهما** رغبته في كسب هذه المعركة بأقل خسائر ممكنة، فقد كانت خسائره في معركة العلمين جسيمة، ولذا قرَّر تجنب الهجوم على موقع العقيلة بالمواجهة، وأن يحاول تطويقه، كما قرَّر ضرورة تخفيض خسائره المحتملة إلى أدنى حد بالاعتماد على قوة نيران مدفعيته، فضلاً عن استغلال غارات السلاح الجوي على العدو أفضل استغلال.

أما العامل **الثاني** فكان يتعلق بسوء موقفه الإداري؛ فنظراً لعدم إمكان استغلال ميناء

بني غازي الاستغلال الأمثل، لذا كان من الضروري الاعتماد على ميناء طبرق الذي يقع شرق العقيلة بحوالي 600كم، مما جعل مشكلة الإمداد تزداد تفاقمًا، وتطلَّب الاستعداد للمعركة استخدام طائرات النقل الضخمة، وعددًا كبيرًا للغاية من السفن الصغيرة والصنادل لنقل المؤن والذخائر، كما مُدَّت أنابيب المياه، وحُفِرَت آبار جديدة للمياه، ومُدَّت بعض خطوط حديدية قصيرة.

وبرغم كل هذه الترتيبات فقد قرَّر مونتجومري أن هجومه لن يمكن البدء به قبل مضي ثلاثة أسابيع أي قبل منتصف ديسمبر 1942، وخلال فترة الاستعداد السابقة للمعركة تمَّ استكمال حشد الفيلق 30، كما قامت مجموعة الصحراء بعيدة المدى باستطلاع الأرض جنوب موقع العقيلة، ودلَّ الاستطلاع على أنه في الإمكان القيام بحركة تطويق واسعة إلى الجنوب عبر الوديان الكثيرة التي كان يظن أنه لا يمكن عبورها، ونتيجة لذلك وُضِعَت خطة هجوم الفيلق 30 على موقع العقيلة بأن تتقدم الفرقة 51 مشاة على الطريق الساحلي للقيام بهجوم بالمواجهة، بينما تتقدم الفرقة 2 نيوزيلندية للقيام بحركة تطويق واسعة إلى الجنوب لقطع خط الرجعة على قوات المحور التي تحتل خط العقيلة، ومنعها من الانسحاب في اتجاه الغرب، وأن تتقدم الفرقة 7 المدرعة بين فرقتي المشاة، وأن تقوم المدفعية والسلاح الجوي بضرب مواقع العقيلة ضربًا عنيفًا لمدة 48 ساعة قبل موعد الهجوم، وقد تمَّ تنفيذ الخطة كما رسمها مونتجومري، وبدأ الهجوم يوم 14 ديسمبر بعد أن اتُّخِذَت الإجراءات لإخفاء حركة التطويق حتى لا يحاول روميل الانسحاب مرة أخرى، والإفلات من التدمير الكامل لقواته، وعلى الرغم من سقوط خط العقيلة في أيدي وحدات الفيلق 30، كما تم الاستيلاء على مردومة ونوفيلية وسيرت غرب العقيلة يوم 25 ديسمبر فإن وحدات الفيلق 30 فشلت في قطع خط انسحاب قوات المحور في اتجاه الغرب، وأخذ روميل في سحب قواته في بادئ الأمر تحت ستر الفرقة 90 الخفيفة، ثم نشب قتال عنيف يوم 16 نوفمبر بين الفرقة النيوزيلندية والفرقة 7 المدرَّعة من ناحية، وقوات المحور المنسحبة من ناحية أخرى، وقد انقسمت

قوات المحور إلى عدة مجموعات صغيرة قاتلت باستماتة حتى تمكَّنت من الإفلات في اتجاه الغرب، وواصلت هذه القوة انسحابها غربًا حتى احتلت مواقعها الدفاعية الرئيسية غرب سيرت.

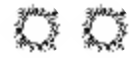

obeikandl.com